العمران الحربي في المغرب الأدنى

من خلال رحلة التجاني (ت بعد٧١٧هـ/١٣١٧م)

إعـداد

دكتورة/ ريحاب محمود إبراهيم محمد

المدرس بالمعهد العالي للدراسات السياحية والفندقية

بدمياط الجديدة

١٤٤٦ هـ- ٢٠٢٤م

ض

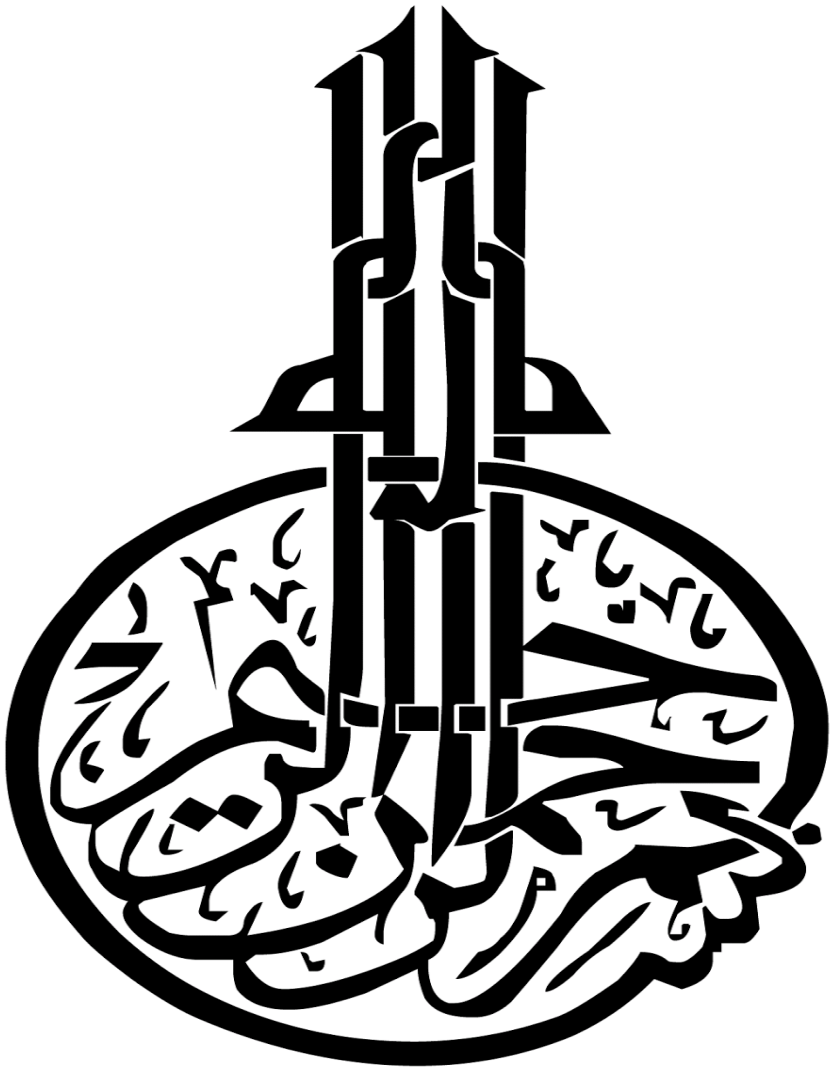

العمران الحربي في المغرب الأدنى من خلال رحلة التجاني (ت بعد٧١٧هـ /١٣١٧م)

ريحاب محمود إبراهيم محمد
السياحة والفنادق - المعهد العالي للدراسات السياحية والفندقية- بدمياط الجديدة - مصر
البريد الإليكتروني:
drrehabhasaneen6687@gmail.com

الملخص:

تظل الرحلة عبر صفحات التاريخ جزء متصل بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور، وللرحلة في بلاد المغرب والأندلس سمات ميزتها، فكان كل من يقوم برحلته من المغرب والأندلس يقوم بتوثيق رحلته بتسجيل ما يشاهده بنفسه، وقبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادىٰ كان المغاربة والأندلسيون يقومون برحلتهم لأداء الحج ولا يقومون بتسجيل هذه الرحلات، كذلك كان لا يتم تسجيل رحلاتهم لطلب العلم، و مع نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بدأت عمليات تسجيل الرحلات إلىٰ المشرق، وكان القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٥٣هـ/ ١١٤٨م) أول من سجل رحلته إلىٰ المشرق وكانت عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ المغاربة والأندلسيون في تسجيل كل ألوان رحلاتهم إلىٰ المشرق علىٰ اختلاف ألوانها، فبدأوا في تدوين مشاهداتهم، وبدأت تعم الفائدة بشكل ملحوظ للاستفادة من هذه الملاحظات والمشاهدات وربطها بتاريخ البلدان التي كانوا يمروا عليها، وباتت كتب الرحلات مصدرًا أساسيًا وثائقيًا تكمل تلك المادة التي كتبها المؤرخ، لذلك بدأ هذا النوع من الكتابات يحظىٰ بعناية عدد كبير من المؤرخين المحدثين لاستخراج المعلومات السياسية والحضارية من كتب الرحلات.

الكلمات المفتاحية: العمران- الحربي -المغرب الأدنىٰ - التيجاني- رحلة

Militärische Urbanisierung im unteren Maghreb durch die Reise von Tijani (gest. nach 717 n. Chr. / 1317 n. Chr.)

Rehab Mahmoud Ibrahim Muhammad
Tourismus und Hotels - Höheres Institut für Tourismus und Hotelstudien - New Damietta - Ägypten
EMIAL: drrehabhasaneen6687@gmail.com

bstract:

Die Reise durch die Seiten der Geschichte bleibt ein Teil, der mit der Geschichte des Menschen seit der Antike verbunden ist, und die Reise in den Maghreb und Andalusien hat ihren Vorteil, so dass jeder, der seine Reise von Marokko und Andalusien aus unternimmt, seine Reise dokumentiert, indem er aufzeichnet, was er selbst sieht, und vor dem fünften Jahrhundert n. Chr. / elftes Jahrhundert n. Chr. machten die Marokkaner und Andalusier ihre Reise, um den Hadsch durchzuführen und zeichnen diese Reisen nicht auf, ebenso wie ihre Reisen nicht aufgezeichnet wurden, um Wissen zu suchen, und mit dem Ende des fünften Jahrhunderts n. Chr. / elftes Jahrhundert Die Registrierung der Reisen in den Osten begann, und der Richter Abu Bakr ibn al-Arabi (gest. 553 n. Chr. / 1148 n. Chr.) war der erste, der seine Reise in den Osten im Jahr 484 n. Chr. / 1091 n. Chr. verzeichnete. Seit diesem Datum begannen die Marokkaner und Andalusier, alle Farben ihrer Reisen in den Osten aller Farben aufzuzeichnen, so dass sie begannen, ihre Beobachtungen aufzuschreiben, und der Nutzen begann sich deutlich durchzusetzen, von diesen Beobachtungen und Beobachtungen zu profitieren und sie mit der Geschichte der Länder zu verbinden, die sie durchquerten, und Reisebücher wurden zu einer grundlegenden dokumentarischen Quelle, die das vom Historiker geschriebene Material ergänzte, so dass diese Art von Schriften die Aufmerksamkeit einer großen Anzahl moderner Historiker erhielt, um politische und kulturelle Informationen zu extrahieren..

Keywords: Urbanismus - Harbi - Unterer Maghreb - Tijani – Reise

مقدمة:

تظل الرحلة عبر صفحات التاريخ جزء متصل بتاريخ الإنسان منذ أقدم العصور، وللرحلة في بلاد المغرب والأندلس سمات ميزتها، فكان كل من يقوم برحلته من المغرب والأندلس يقوم بتوثيق رحلته بتسجيل ما يشاهده بنفسه، وقبل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادىٰ كان المغاربة والأندلسيون يقومون برحلتهم لأداء الحج ولا يقومون بتسجيل هذه الرحلات، كذلك كان لا يتم تسجيل رحلاتهم لطلب العلم، و مع نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي بدأت عمليات تسجيل الرحلات إلىٰ المشرق، وكان القاضي أبو بكر بن العربي (ت ٥٥٣هـ/ ١١٤٨م) أول من سجل رحلته إلىٰ المشرق وكانت عام ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م.

ومنذ ذلك التاريخ بدأ المغاربة والأندلسيون في تسجيل كل ألوان رحلاتهم إلىٰ المشرق علىٰ اختلاف ألوانها، فبدأوا في تدوين مشاهداتهم، وبدأت تعم الفائدة بشكل ملحوظ للاستفادة من هذه الملاحظات والمشاهدات وربطها بتاريخ البلدان التي كانوا يمروا عليها، وباتت كتب الرحلات مصدرًا أساسيًا وثائقيًا تكمل تلك المادة التي كتبها المؤرخ، لذلك بدأ هذا النوع من الكتابات يحظىٰ بعناية عدد كبير من المؤرخين المحدثين لاستخراج المعلومات السياسية والحضارية من كتب الرحلات.

أما عن رحلة التجاني محل الحديث فإنه بنفسه في مقدمة رحلته أشار إلي أهمية أدب الرحلات بصفة عامة، وقد ذكر أنه في رحلته هذه وصف كل ما ".. شاهدته في هذه السفرة المباركة من البلاد مضمن ذكر أحوالها وصفاتها، وبيان طرقها ومسافاتها والإشارة إلىٰ مفتحيها وبناتها، وأحوال ما اشتملت عليه من أصناف العوالم، وما

يتميز به كل بلد من الآثار والمعالم، وما تشوف إليه، ويتشوق إلىٰ الاطلاع عليه..."[١]

وقد اختارت الباحثة عرض ومناقشة ما شاهده التجاني في رحلته من عمارة حربية، وهي نقطة لم تحظ بالدراسة، فلم يسبق أن حصر أحد من الباحثين ما رصده التجاني من عمارة حربية في رحلته، وقد نهجت الباحثة في دراستها لهذا الموضوع من تتبع ما كتبه التجاني عن المدن والبلدان، واستخلصت منها فقط ما يتعلق بالعمارة الحربية من حصون وقلاع وأسوار وقصبات، وخنادق وأبراج، موضحة ما كانت عليه أحوال هذه العمارة والحالة التي شاهدها عليها التجاني في رحلته.

وعنوان البحث: " العمران الحربي في المغرب الأدنى من خلال رحلة التجاني (ت بعد٧١٧هـ /١٣١٧م)، رأت الباحثة تقسيمه إلىٰ ثلاثة نقاط رئيسة

الأولى منها: التجاني ورحلته، ويتناول التعريف بمفهوم الرحلة لغة واصطلاحًا، وكذلك التعريف بصاحب الرحلة الرحالة التجاني، وكذلك التعريف برحلته التي استمرت عامين من بداية خروجه من تونس ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، وحتىٰ عودته إليها في عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م.ويقصد بالمغرب الأدنىٰ هنا البلاد الواقعة غرب مصر من برقة شرقًا حتىٰ بجاية غربًا ومن الجنوب بلاد الجريد ومن الشمال بالحر المتوسط،[٢]وهىٰ البلاد التي خضعت للسلطنة الحفصية والتي اتخذت من تونس قاعدة لها.

أما ثانيا: أهمية العمران الحربي عند التجاني فيتناول ما أورده التجاني في رحلته من أخبار تتعلق بأهمية العمران الحربي وأثره في المغرب الأدنىٰ، حيث رصد كل الأخبار المتعلقة بسبب التوجه لعملية بناء العمران الحربي، والدوافع لذلك من وجهة

نظره، وأهم ما يتعلق بهذا العمران من أحداث حربية، ومدىٰ لعبه دور فعال في هذه الأحداث.

أما ثالثًا: فتناولت موضوع الدراسة " العمران الحربي" بتناول كل ما أورده التجاني من أحداث تتعلق بالعمران الحربي من الحصون والقلاع والأسوار والأبراج والقصبات والخنادق، وعرض لكلٍ علىٰ حدة من تاريخ الإنشاء وسبب الإنشاء ومن المنشىٔ، وحالته الآن، وبعض الأخبار الحربية المتعلقة به.

وتختتم الباحثة البحث بخاتمة تضم أهم النتائج، وكذلك قائمة بأهم المصادر والمراجع التي رجعت إليها الباحثة.

أولاً: التجاني ورحلته:

الرحلة في اللغة ذكرها ابن منظور في لسان العرب علىٰ أنها"... الترحيل والارتحال بمعنىٰ الإشخاص والإزعاج.... ومعنىٰ الرحلة السَّفرَة الواحدة، والرحيل هو اسم ارتحال القوم للمسير.." (٣)

والرحلة في الاصطلاح فن من الفنون يعتمد علىٰ رسم الواقع من خلال المشاهدة، واقع المسالك والممالك والبلدان، ورصد ما بها من الحياة السياسية والحضارية علىٰ اختلاف ألوانها الاقتصادية والعلمية والاجتماعية ومظاهر العمران، وهىٰ بذلك تختلف عن الجغرافيا فالجغرافيا تقدم نظرة ودراسة شاملة عن الأشياء، أما الرحلة فتقدم نظرة جزئية، لذلك تتميز الرحلة بالبعد الزمنىٰ فالرحالة يصف الموضوعات لحظة مشاهدتها، وهىٰ ميزة تتميز بها الرحلة دون غيرها.(٤)

أما عن صاحب الرحلة محل البحث فهو الرحالة أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم التجاني، ولد في تونس بين عامي ٦٧٠هـ / ١٢٧٢م و ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م، أما عن نسبه فهو ينسب إلىٰ قبيلة تجان إحدىٰ قبائل البربر في المغرب الأقصىٰ، التي هاجرت من المغرب الأقصىٰ إلىٰ المغرب الأدنىٰ واستقرت في تونس زمن الحفصيين.(٥)

وقد نشأ التجاني في بيت علم وسياسة في نفس الوقت، فوالده أحد علماء تونس الحفصية، كما كان أحد كتاب ديوان الإنشاء الحفصىٰ، اتصل التجانىٰ منذ صغره بأهل العلم والأدب في تونس، وتلقىٰ العلم علىٰ يد نخبة من خيرة علمائها، حتىٰ برع في عدد من العلوم أهمها علوم التفسير والحديث والأدب واللغة.(٦)

أما عن بداية التحاقه بقصور الحفصيين ككاتب في ديوان الإنشاء فكان في عهد السلطان أبي عصيدة محمد بن الواثق يحيي بن محمد بن أبي زكرياء الحفصي(٧) (٦٩٤- ٧٠٩هـ/ ١٢٩٥-١٣١٠م)، كما تقرب في الوقت نفسه من شيخ الموحدين

أبي زكرياء يحيي اللحيانىٰ الذي سيتولىٰ السلطنة الحفصية بعد ذلك في عام ٧١١هـ / ١٣١١م، وأشرف علىٰ رسائله، وأصبح كاتبه الخاص، وولاه رئيس ديوان رسائله المعروف بخطة العلامة الكبرىٰ.[٨]

وبملازمة التجاني لشيخ الموحدين اللحياني، رافقه في كل حركاته، وبدأ يسجل التجاني ذلك في رحلته، واصطفاه خليلاً له في رحلته للحج عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٦م، لكن مرض التجانىٰ حال دون الاستمرار في رحلته للحج مرافقًا اللحياني وهو ما أشار إليه بقوله "... والعلة التي عرضت لىٰ كما تقدم في ابتداء حدتها ومنتهىٰ شدتها... رجوت أن يهون فاشتد ورميت أن يقصر فامتد... فلم يكن من بد الرجوع.. فودعته فىٰ هذا اليوم وهو يوم عاشوراء (٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) بينما واصل الأمير سفره نحو الشرق بحجة أداء فريضة الحج....." [٩]،فعاد إلىٰ تونس، وواصل اللحيانىٰ رحلته للحج وحده.[١٠]

ولما توفي السلطان أبو عصيدة في عام ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م اضطربت أحوال البلاد، وتمكن اللحيانىٰ من جمع أنصاره في طرابلس ودخول تونس معلنًا نفسه سلطانًا عليها بعد عامين من الاضطرابت في تونس وجلس علىٰ عرش السلطنة لمدة ست سنوات (٧١١- ٧١٧هـ/ ١٣١١-١٣١٧م)، وأصبح للرحالة التجاني كلمة عليا في الدولة، وتولىٰ التجاني خطة العلامة الكبرىٰ للحياني، واستمر حتىٰ ترك اللحيانىٰ السلطة في عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م.[١١]

أما عن وفاة التجاني فإن أخباره انقطعت بعد أن ترك اللحياني السلطة بدخول الأمير أبو بكر بن أبي زكرياء [١٢] العاصمة الحفصية تونس عام ٧١٧هـ / ١٣١٧م. [١٣] ويذكر الزركشي ذلك بقوله ".. إن اسم التجاني ذهب بارتحال الدولة إلىٰ أبي بكر..." [١٤]

أما عن رحلة التجاني فكانت في فترة ملازمة اللحياني شيخ الموحدين، والذىٰ قرر في عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م الخروج بمريديه لاسترجاع جزيرة جربة من أيدي النصارىٰ، ثم المضي شرقًا بعدها لأداء فريضة الحج،فخرج التجاني بصحبة اللحياني من تونس حسبما ذكر هو "... آخر جمادىٰ الأولىٰ من عام ستة وسبعمائة (نوفمبر١٣٠٦م)...." [١٥].

واستمرت عملية استرجاع جربة لشهرين كاملين، لكنها فشلت، فتوجه إلىٰ مدينة قابس ومنها استعد وخرج إلىٰ منطقة الجريد لاستخلاص الجباية في ربيع عام ٧٠٦هـ / ١٣٠٧م، ثم عاد إلىٰ مدينة قابس، ثم توجه اللحياني ومريديه ومنهم التجاني إلىٰ طرابلس فأقام بها ثمانية عشر شهرًا، ثم مرض التجانىٰ وعاد إلىٰ تونس مرة أخرىٰ وأكمل اللحياني رحلته للحج وكانت عودة التجاني في مطلع عام ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م، أي أن رحلته استمرت لعامين[١٦].

وقد لاقت رحلة التجاني أهمية كبرىٰ بين كتب الرحلات في عصره، حيث كانت طريقته دقيقة في وصف المدن والقرىٰ والتعريف بها، ولم يكتف بالجغرافيا فقط بل اهتم بالتعريف بالأدباء والعلماء، لذلك كانت ذات قيمة أدبية كبيرة. وكان منهج التجاني في رحلته عند زيارته لأىٰ من البلدان يقوم بضبطها ضبطًا لغويًا ويثبت شكل كتابتها، ويورد تفصيلاً مفصلاً بالألفاظ مع ذكر اختلاف القراءات، محاولاً تفسير التسمية من صميم اللغة العربية عن الثقاة، ويذهب إلىٰ تعليل التسمية، ويذكر الموقع الجغرافي للبلدة وخواص الموقع الطبيعية، وأهم الموارد، والمسافة بين البلد والبلاد المحيطة، وأشهر السكان، والدور التاريخي لبعض السكان، وأهم الحوادث التاريخية التي جرت في هذا البلد، ووصف كامل للعمران، والمرافىء التي زارها في البلدة، والعادات والتقاليد للسكان وذكر العجيب من قصصها، والحكايات الطريفة، ومختارات من الشعر ومأثور القول. [١٧]

واعتمد التجاني في وصفه للبلدان على المصادر التي اطلع عليها في الخزانة الحفصية ورسائل الدواوين، واستفاد من عمله في ديوان الإنشاء، ويدل ذلك علىٰ أن الرحلة مرت بمرحلتين الأولي التدوين والملاحظة وقت الرحلة، والثانية بعد العودة إلي تونس بعد الاستعانة بالمصادر التاريخية والأدبية.[١٨]

ثانيا: أهمية العمران الحربي عند التجاني:

كان التجاني في رحلته حريصًا كل الحرص علىٰ رصد العمارة الحربية، فكان يرصد ما يشاهده بعينيه منها، بل ربط في عباراته كثيرًا بين البلدان وأهميتها الحربية فمثلاً ذكر أن "... رادس هي المنزلة الأولىٰ للمحال والعساكر دائمًا إذا خرجوا من تونس..."[١٩]، وهو ما يعنىٰ أن التجاني ربط بين المدينة وأهميتها الحربية، وذكر أنها المحطة الأولىٰ لأي جيش يخرج من العاصمة تونس، يمر عليها، وربما كانت نقطة تجمع للجيش قبل انطلاقه لخوض أي من الحروب. وفي وصفه لمدينة سوسة ذكر أنها كانت مكان خروج القائد أسد بن الفرات عام ٢١٢هـ / ٨٢٧م غازيًا جزيرة صقلية فتغلب علىٰ كثير من مدنها.[٢٠]

كما حرص التجاني علىٰ الربط بين المدينة والعمارة الحربية بها وبعض الأحداث الحربية المرتبطة بها، فعند ذكره لحصن الجم قرب قرطاجنة بإفريقية ذكر أن هذا الحصن هو الذي كانت قد تحصنت فيه الكاهنة في ثورتها ضد الوجود العربي عندما التف حولها البربر في ثورتها وهزمت القائد حسان بن النعمان وأجبرته علىٰ التقهقر حتىٰ برقة، ولما آتاه المدد من الخليفة عبد الملك بن مروان وأمره بقتلها شن حربه علىٰ الكاهنة وحاصرها في هذا الحصن حتي قضىٰ عليها[٢١]

وفي الكثير من المواضع انتقل التجاني من ذكر الأثر الحربي للعمارة الحربية إلي ذكر فضل الجهاد في سبيل الله وخوض الحرب لنصرة دينه، بل والمرابطة لتحقيق

ذلك، فيذكر مثلاً أن رادس "..رباطًا مشهور بالفضل و، وقد روىٰ عبيد في المسالك عن زيد بن ثابت وأنس بن مالك موقفًا عليها أنهما قالا: من رابط برادس يومًا واحدًا فله الجنة، وذكر أبو اسحق إبراهيم بن القاسم الرقيق في تاريخه أن علماء المشرق وفقهاءه كتبوا إلىٰ أهل إفريقية: من رابط عنا برادس يومًا واحدًا حججنا عنه حجة...." (٢٢)

كذلك حرص التجاني في بعض المواضع أثناء تناوله للعمارة الحربية في بلد من البلدان علىٰ ذكر سبب تحصين هذه البلدان، والدافع لاهتمامهم بالعمارية الحربية بها، فيذكر مثلاً أن السبب في إنشاء العمارة الحربية في مدينة رادس أن الروم كانوا قد ".. أغاروا عليها في ولاية عبد الملك بن مروان في مراكب لهم فقتلوا من بها وسبوا وغنموا ولم يكن للناس إذ ذاك شيء يحصنهم فبلغ أمرها من المسلمين كل مبلغ فانتقل إليها أمير إفريقية حسان بن النعمان الغساني فأقام مرابطًا بها وكتب بذلك إلىٰ عبد الملك....أمر عبد الملك حسانًا أن يخرق البحر إلىٰ تونس من جهة رادس..." (٢٣)

ويتضح من رواية التجاني أن السبب في تحصين رادس بشق نهر يحصنها من غارات الروم، ويحمي أهلها، كان لكثرة غارات الروم عليها، وعدم وجود عمارة حربية بها يحتمىٰ بها الناس ويتحصنون بها، الأمر الذي جعل الخليفة عبد الملك بن مروان يأمر حسان بن النعمان بحفر خندق في شكل نهر صغير يحصن المدينة، ويصل من رادس إلىٰ تونس، وهو ما تم بالفعل، وكان بغرض التحصين والحماية.

كما أشار التجاني أن كثرة الحروب وكثرة غارات النصارىٰ كانت تتسبب ي في تدمير العمارة الحربية في المغرب الأدنىٰ، وألزم ذلك أهلها إعادة تشييدها مرة أخرىٰ، ففي وصفه لمدينة سوسة الساحلية يقول أن غارات النصارىٰ جعلت "... استولىٰ الخراب علىٰ مدينة سوسة وهلم جرا..." (٢٤)

كما ذكر أنه بعد دخول النصارىٰ جربة كانوا قد زادوا في تعميرها وبناء العمران "... ليس بها بناء قديم إلا دور قليلة..." (٢٥)

وذكر التجاني أيضًا أن كثرة غارات الروم علي المدن الساحلية، ومنها مدينة سوسة، جعل العرب يفكرون في تشييد القصور والحصون قرب الساحل لتعمير المنطقة ومنع تقدمهم نحو الداخل، ولما شيدوا القصور والرباطات والحصون علىٰ السواحل أسكنوا بها من عبيد أهل القيروان ومن انتدب معهم قوم للرباط فكثروا هنالك. (٢٦)

ولا يمكن إغفال ما أورده التجاني في كثير من الأحيان عن مشاركة الرعية في إنشاء العمارة الحربية، فعلىٰ سبيل المثال ذكر أن قاضي صفاقس علي بن سالم هو الذي"... بنىٰ سور صفاقس بالطوب والطين، وبنىٰ المحرس القديم المعروف بمحرس علىٰ وعرف بعذ ذلك بالمحرس الجديد (٢٧).

ثالثا: العمران الحربي:

الحصون:

تناول التجاني في رحلته الحصون وبعض أخبارها وكان حريصًا في بعض الأحيان في ذكر منشىٰء الحصن وزمن إنشائه، فيذكر أن عبيد الله المهدي أول خلفاء الفاطميين في بلاد المغرب أنشأ في مرسي مدينة المهدية حصن المرسىٰ، وكان حصنًا منيعًا للمراكب الحربية، وزاد المهدي في تحصين الحصن بوضع سلسلة من حديد يرفع أحد طرفيها عند دخول السفن المرسىٰ، ومن خلالها يتم إغلاق المرسىٰ أمام حركة السفن، وهذا يؤكد علىٰ حرص المهدىٰ علىٰ تحصين المدينة بشكل كامل. (٢٨)

كما زاد التجاني عن ذكر الحصن وبدأ يذكر وصفه من حيث الشكل فيذكر ان حصن الجم القريب من إفريقية كان أعظم حصونها وأكثرها شهرة لمناعته، وقديمًا

بقدم المدينة، إلا أنها لم يتم بناء حصنًا مثله قط، وكانت الحكومات المتعاقبة تزيد في تحصينه، ووصفه بأنه بناء أضخم ليس هناك حصن أضخم منه في المغرب الأدني كله، أما عن الشكل فذكر أنه مستدير الشكل وارتفاعه في الهواء مائة ذراع. (٢٩)

وفي بعض الأحيان يذكر التجاني مادة بناء الحصن فيذكر أن حصن مدينة زرمدين (مفتوحة الزاي ساكنة الراء مكسورة الدال المهملة وجمال مفتوحة الجيم المشددة)، حصن حصين أسفله حجارة وأعلاه طين، كما ذكر أن مهمة هذا الحصن ان أهله كانوا يهرعون إليه وقت حاجتهم لذلك إذا ما أحسوا بخطر يداهمهم. (٣٠)

كما ذكر التجاني بعض الأخبار الحربية المتعلقة بالحصون فيذكر أن حصن المحرس أحد الحصون الساحلية الموجودة في إفريقية في تلك الفترة يذكر أن الذئ بناه ابن الأغلب وذكر أن أهل المحرس كانوا إذا وصل إليهم عدو واضطروا إلي قتال لجأوا إلئ الحصن الشهير بالمحرس، وذكر كذلك أن ساكني الحصن كانوا من هوارة، وانتقلوا للعيش في هذا الحصن وكان في البداية مسجدًا خاليًا للعبادة والرباط فابتنوا دياراً بجانبه وجعلوا علئ الجميع سدًا(٣١). ومن المؤكد أن تسمية الحصن بالمحرس يرجع للدور الذئ كان يؤديه وهو الحراسة.

وقد وصف التجاني المحرس بأنه كان عبارة عن مسجد في تلك المنطقة وعندما انتقل إليه جماعة من بدو هوارة بعد أن طلب العرب منهم الرحيل إلي هذه المنطقة فعمروا حول المسجد وبنوا لهم دوراً. (٣٢)

وبالقرب من زوارة الكبرئ مر التجاني بحصن يعرف بتليل وهو حصن في رأس تل يطل علئ البحر، وذكر أنه محصن طبيعي لأنه مبني علئ تل(٣٣)

كما استخدم التجاني لفظ القصر ليدل علئ الحصن ففي وصفه لمدينة كتامة يصف أهلها بقوله"... لأهلها قصر كبير يأوون إليه..." (٣٤) ويذكر كذلك قصر زياد قرب قرية بليانة ويقول عنه أنه "... قصر حصين..." (٣٥)

وفي رحلة الجيش الذي رافقه التجاني لتحرير جزيرة جربة من النصارىٰ عم ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م وصف التجاني حصن الروم في جربة المعروف بالقشتيل بأنه "... يهول الناظر اتقانًا وحصنًا وهو مربع الشكل، وفي ركن منه برج، فاثنان منها مستديران واثنان مثمنان، وبين كل برجين من هذه في وسط الحائط برج صغير مربع ويدور به فصيل قصير ويدور بجميع ذلك حفر متسع..." (٣٦)

القلاع:

كما ذكر التجاني أيضً القلاع كإحدى صور العمارة الحربية في المغرب الأدنى، وذكر أنها كانت كثيرة في إحدىٰ أشهر المدن بإفريقية وهىٰ مدينة غمراسن، وأثناء مرور التجاني بهذه المدينة دقق الوصف لهذه القلاع، حيث ذكر أن منها قلعة نفيق بكسر النون وتشديد الفاء، وقلعة حمدون، وكان منزلنا متسع بين هاتين القلعتين(٣٧)، ثم بدأ يصف قلعة نفيق علىٰ أنها قلعة حصينة، كان السبب في تشييدها حماية أهل المدينة والحفاظ علىٰ الأرواح، فإذا ما شنت قوة الحرب علىٰ هذه المدينة أو شعر أهلها بخطر ما لجأ أهل المدينة إلىٰ القلعة فتحصنوا بها، فكانت لهم حصنًا ومنعة، جميع أهل البلد إذا حل بهم عدو، أو وصل إليهم جيش (٣٨).

ومن أهم سمات هذه القلعة أنها كانت محصنة طبيعيًا حيث كانت جبل مرتفع له طرق ضيقة ومسالك يعرفها أهل المنطقة فقط، وتنتهىٰ هذه الطرقات ببيوت منحوتة في الجبل بعضها فوق بعض من وسط الجبل لأعلاه يسمونه الغيران وأكثر جهاته عامرة الجهة الشرقية وتليها في ذلك الجهة القبلية وفي الجهة الغربية أيضًا مساكن قليلة إلا أنها غير مسكونة..." (٣٩).

كما يذكر التجاني أن إحدىٰ القلاع المشهورة في قابس كانت قلعة بني حماد، التي اشتملت علىٰ معالم مشهورة فمنار القلعة بناه المنصور بن الناصر بن حماد، والعروسان بالقلعة مبنىٰ بناه الناصر بن علناس بن حماد، ومن نواحىٰ القلعة مكان

يقال له عين سلام وقد ذكر أحد شعراء بني حماد ويدعىٰ أبي عبد الله محمد بن علىٰ بن حماد مباني القلعة في أشعاره فقال:

أيــن العروســان لا رســم ولا طلــل وأيــن مــا شــاد منــه القــادة الأُوَلُ
ومجلــس النــوم قــد هــب الزمــان لــه بحــادث قــل فيــه الحــادث الجلــل
ومــا رســوم المنــار الآن مائلــة لكنهــا خبــر يجــري بــه المثــل [٤٠]

الأسوار:

كان التجاني حريًا في وصفه للبلدان علىٰ وصف العمارة الحربية التي تواجهه قبيل دخوله المدينة وبعد دخوله وبعد الخروج منها، أي أنه كان يذكر كل ما يشاهده في حيز هذه المدينة من عمارة حربية، كذلك كان يشير في حديثه عن المدينة إذا ما كانت محصنة طبيعيًا أم لا، ففي وصفه لمدينة سوسة ذكر أنها محصنة طبيعية لأنها مدينة كبيرة علىٰ سفح جبل عال، ثم يصف سورها فيقول بأن لها "... سور منيع من الصخر ينتهىٰ البحر إليه ويضرب فيه..." [٤١] وهو ما يعني أن السور الذي كان يحصن المدينة يطوقها حتىٰ ينتهىٰ إلىٰ البحر وبذلك تكون المدينة في منعة وقوة من أي اعتداء.

وتناول التجياني الدور الحربي للسور والمتعلق بتحصين المدينة فيذكر عن سور مدينة توزر أن ".. الغابة ملاصقة لسور المدينة فزادت حصانتها..." [٤٢]

كما وصف التجاني أسوار مدينة تونس الخارجية وقوتها، عندما وصف نصب آلات المجانيق أمام أسوارها، وكيف كان يتم قصف المدينة بهذه الآلات من أمام الأسوار لمناعة وقوة وارتفاع أسوار المدينة. [٤٣] كما تناول أسوار مدينة صفاقس وقوتها، وكيف أن للمدينة سورين بينهما مسافة وفي هذا يقول "... فهي مدينة حاضرة ذات سورين يمشىٰ الراكب بينهما ويضرب البحر في الخارج منهما..." [٤٤]

كما كان يشير في أحيان كثيرة إذا ما كانت العمارة الحربية قديمة بقدم المدينة أم أنها حديثة،وأحيانًا كان يذكر ما تم عليها من تعديل أو ترميم، فقد ذكر أن مدينة قابس مسورة من الخارج بسور كبير من بناء الأول، وقد دار بسورها خندق متسع يجرون الماء إليه إذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون أمنع لها. (٤٥)

كما حرص التجاني علىٰ ذكر من شييد العمارة الحربية، ومن أدخل عليها التعديل بعد ذلك، ففي وصفه لأسوار مدينة المهدية،عاصمة العبيديين الفاطميين في بلاد المغرب ذكر أنهم كانوا يبحثون عن مكان يكون حصنًا لهم،، فشيد مدينة عبارة عن حصن علىٰ ساحل البحر، واختار للمهدية هذا المكان فشيدها، وكان أول من ابتناه منها سور المدينة من ناحية الغرب، وبه عدد من الأبواب للدخول والخروج. (٤٦)

كما كان يؤكد التجاني في وصفه إذا كان السور علىٰ حالته قائمًا أم لا، فقد وصف سور جزيرة جربة أنه سور مرتفع البنيان لا زال قائمًا إلىٰ الآن علىٰ حالته، علىٰ الرغم من أن أجزاء كبيرة من المدينة كانت قد خربت حتىٰ طال الخراب مسجدها الجامع. (٤٧)

كما كان التجاني حريصًا علىٰ ذكر ما شاهده من الأسوار ويحتاج إلىٰ ترميم وأهمله أهل البلد والسلطة وتركوه دون ترميم فيذكر أن سور الحامة كان سوراً "..... مواضع منه تهدمت ولم يشتغل أهلها برمها..." (٤٨)

ولأن التجاني كان يعاصر فترة كثيرة الاضطراب، لم يمر علىٰ السور المتهدم جزأ منه مرور الكرام بل سأل أهل البلد عن السبب الذي يجلعهم لا يرممون السور لتحصين المدينة، ولماذا يتركونه علىٰ وضعه، حتىٰ أنه سألهم عن السبب فردوا عليه "..نحن لا نعتمد علىٰ سور... سورنا في سيوفنا.."(٤٩)

وكذلك كان التجاني يذكر بعض الأخبار المتعلقة بالأسوار، أدوار غير حربية، فيشير إلىٰ أن قصبة تونس كان لها أسوار قوية مرتفعة وكان يعلق بهذه الأسوار رؤوس

الخارجين علىٰ الدولة عندما يتم القبض عليهم، تشهيرًا بهم، وحتىٰ يكون عبرة لغيرهم. (٥٠)

ويصف التجاني سور مدينة طرابلس بدقة بالغة ويشير إلي صيانته الدورية وحرص السكان علىٰ ذلك حتىٰ إذا ما فرغوا من الصيانة والبناء احتفلوا بذلك أيما احتفال ويذكر التجاني أنه لم ير لذلك مثيل من احتفالات بأسوار المدينة مثلما شاهد من أهل طرابلس، ويذكر أن بناء الأسوار وصيانتها يخصص له مبلغ من المتحصلات التي يتم تحصيلها من أهل المدينة، فالأسوار مهمة جدًا في حماية المدينة. (٥١)

ويتعلق بأسوار المدينة وتأمين السكان وجود أبواب في السور، وقد تحدث التجاني في رحلته عن أبواب مدينة طرابلس ومنها باب هوارة نسبة إلىٰ من نزل به أول الزمان، ويقابله من الداخل مساحة واسعة بها سوق للحيوانات، ويقابل هذا الباب من الجهة الأخرىٰ باب الستارة، ويذكر التجاني أنه باب محدث وليس بقدم المدينة (٥٢)، ويوجد باب ثالث يفتح علىٰ البحر ويسمىٰ بباب البحر،ويشرف علىٰ منظر بديع " ومن خارج باب البحر منظر من أحسن المناظر، مشرف علىٰ الساحل، حيث مرسىٰ المدينة، وهو مرسىٰ حسن متسع تقرب فيه المراكب من البر، وتصطف هناك اصطفاف الجياد أواريها.. "(٥٣) وباب رابع بين باب البحر وباب الستارة يسمىٰ الباب الأخضر. (٥٤)

وكان التجاني إذا وجد مدينة ليست مسورة لا يمر عليها مرور الكرام وإنما يسجل تلك الملاحظة علىٰ هذه المدينة فيذكر أن جزيرة قرقنة ليست محصنة كالمدن الأخرىٰ فيقول أنه ليس بها سور. (٥٥)

ويرتبط بالأسوار حول المدن والبلدان الأبراج التي تحمىٰ هذه الأسوار ووصف التجاني في رحلته ما شاهده من أبراج، فيقول عن أحد القصور المسورة الموجودة ببلدة تسمي أم الأصابع(٥٦) وفي خضم حديثه ووصفه للسور الذىٰ تسورت به المدينة،

وروعة إنشائه، انتقل إلىٰ وصف الأبراج علىٰ هذا السور، وهىٰ أبراج الحماية، فلا سور بلا أبراج تحميه إذا ما اقترب منه عدو أو أي جيش تحت أي مسمىٰ، ووصف التجاني الشكل الهندسي للأبراج فيذكر أن منها الأبراج المستديرة، ومن شكل الأبراج المستديرة هذه تسمت البلدة بأم الأصابع، ويبرر التجاني ذلك بما شاهده من أن ارتفاع الأبراج عن السور كأنها أصابع قائمة بالفعل. (٥٧)

ويتضح مما سبق أن التجاني في تناوله للأسوار كأحد صور العمارة الحربية في المغرب الأدنىٰ، تناولها بطريقة شاملة انفرد بها عن غيره من الرحالة والجغرافيين، وكأنه أعد لها موضوعًا مفردًا يختص بها مع أنها عبارة عن عبارات متناثرة بين الأسطر التي عرف فيها المدن والبلدان، فقد وصف السور ومنظره من الخارج علىٰ مسافة من المدينة، ثم دقق فيه النظر عندما وصل إليه فوصف ارتفاعه ومادة بنائه، ثم دار حوله فوصف أبوابه، ثم أبراجه التي تحميه، وينفرد التجاني عن غيره بذكر بعض الأخبار التي تتعلق ببناء هذه الأسوار كأول من شيدها، وأول من قام بترميمها، وكذلك وصف حالتها الحالية إن كانت تحتاج إلىٰ ترميم أم لا، وهو بذك قد ذكر كل ما يتعلق بالأسوار وهو ما يميزه عن غيره، وهذا ما اتضح من العرض السابق.

القصبات:

يواصل التجاني وصفه للعمارة الحربية داخل المدن بعد أن وصف العمارة خارج الأحياء من أسوار وحصون فيصف القصبة ويذكر أنه كان داخل كل مدينة كبيرة بالمغرب الأدنىٰ قصبة، فيقول عن جزيرة جربة أنه شاهد في آخر أحياء المدينة أطلال قصبة شاهدها بنفسه، وذكر أن هذه القصبة كانت سكنىٰ للحاكم، ويذكر أن هذه القصبة كانت خربة، بل استولىٰ الخراب عليها. (٥٨)

كما ذكر قصبة مدينة قابس مع أنه ذكر أنها كانت وقتها قد خربت وحل بها الخراب والدمار، وذكر أن قصبة المدينة هذه من بناء بني جامع الهلاليين، ولاة قابس

في أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجري/ الحادىٰ عشر والثاني عشر الميلادي، وكان والي المدينة يقيم في القصبة فاهتموا بها، وحصنوها، وتشهد آثار القصبة علي ضخامة البناء وقوته، وعظمة من شيدوه، غير أن الخراب كان قد حل بها في زمان التجاني، واستدل التجاني علىٰ بناة القصور في القصبة وبناة القصبة من النقوش المكتوبة علىٰ أبواب القصور الموجودة بها والمنسوبة إلىٰ بني جامع الهلاليين.[٥٩]

والغريب أن أغلب القصبات كان قد حل الخراب عليها، فيستمر في وصفها ويصف قصبة أخرىٰ قريبة من بلدة عين طرة بإفريقية ذكر أن الولاة كانوا يسكنون فيها ومع ذلك يصمم علىٰ وصف أحوالها الآن ويذكر أن الخراب قد حل عليها هي الأخرىٰ، وأصبحت أطلالاً ولا يعرف السبب في ذلك، ويذكر أنه لم يبق من القصبة إلا سورها الذي كان مشيدًا لحمايتها وكان يحيط بها.[٦٠]

ويذكر التجاني أنه لما وصل مع الأمير اللحياني إلىٰ طرابلس في رحلته للحج برفقة الأمير، قبل أن يمرض ويعود إلىٰ تونس، ذكر أن القصبة التي دخلها مع الأمير كانت قصبة الوالىٰ الذي استقبلهم فيها، وعندما حل عليه الأمير اللحياني وصحبته ومنهم التجاني تركها لهم للإقامة فيها مدة بقاءهم في طرابلس.[٦١]

وقد مكنت المدة التي قضاها التجاني في القصبة في طرابلس من وصفها وصفًا دقيقًا، فذكر أن لها رحبتين واسعتين تشكل مساحات ملحقة بها، ويقع خارجها المسجد، وخارج القصبة مبني يسمىٰ الرياض.[٦٢]

ويذكر أحد الباحثين أن وصف القصبة علي هذا النحو يوضح أنها كان أمامها موقعًا كبيراً به مبان أثرية ومتسع فسيح ويوجد به كثيرًا من الغرس المثمر، ويذهب إلىٰ أن الموضع الذىٰ عرفه التجاني باسم الرياض هو القلعة ذاتها، وأن القصبة تقع قريبة منها.[٦٣]

كما ذكر التجاني أن قصبة تونس كانت قوية البناء ومحصنة بأسوار عالية، ومقر إقامة والىٰ المدينة علىٰ مدار تاريخها، قبل بناء القصور الفخمة، وكانت قصبة تونس تختلف عن القصبات الأخرىٰ لكون تونس علىٰ مدار تاريخها أهم مدن المغرب الأدنىٰ وعاصمته، فكانت تضم الدواوين وكل ما يتعلق بأمور الإدارة. (٦٤) حتىٰ أن المستشرق برنشفيك وصفها أنها "..... مدينة حكومية صغيرة ملتصقة بالمدينة الكبيرة، ومجهزة بمنشآت مستقلة من مساكن مختلفة وأجهزة دفاعية خاصة وجوامع خطبة.."(٦٥)

ويتضح من وصف التجاني للقصبة في المغرب الأدنىٰ كإحدىٰ المنشآت الحربية التي تعمل علىٰ تحصين المدن والسكان، يذكر أن القلعة كانت مهمتها مقر إقامة الحاكم في البلدة أو المدينة، ثم يتطرق للحديث عن بعض أخبارها، ثم يتطرق في بعض الأحيان لوصفها وصفًا أثريًا دقيقًا كمواد البناء مثلاً، وأسوارها، وأبراجها، وشكلها المعمارىٰ، وهو بذلك يسفها وأخبارها وصفًا دقيقًا.

الأربطة:

كما تحدث التجانىٰ عن الرباطات ودورها كعمارة حربية بقوله بلدة رادس لم تزل "... رباطًا مشهوراً له بالفضل..." (٦٦) وفي تناوله لذكر الرباطات ذكر بعض ما ورد فيها مثل قوله عن زيد بن ثابت وأنس بن مالك أنهما قالا ".. من رابط برادس يومًا واحدًا فله الجنة..: وقال أن أحد علماء المشرق المشهورين ذكر في أحد دروسه لأهل إفريقية أنه "..من عنا برادس يومًا واحدًا حججنا عنه حجة..."(٦٧)

كما ذكر بعض الأحاديث في فضل رباط يسمىٰ رباط المنستير في بلدة سوسة، وذكر أنه "...محرس من محارسها ومنسوب إليها..." (٦٨). وبدأ أيضًا يسرد ما ورد من مأثور في فضلها، فأورد أن أ[و العرب محمد بن أحمد بن تميم ذكر في كتاب

الطبقات "..... عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: من رابط بالمنستير ثلاثة أيام وجبت له الجنة..." (٦٩)

ويرى أحد الباحثين أن الأحاديث التي ذكرها التجاني والخاصة بالأربطة والمرابطة في إفريقية وغيرها إنما يمكن قبولها لأنها كلها جاءت بقصد الجهاد والترغيب فيه، وتحث عليه، وتعبر عن قدر المشقة والثواب الذي يحصل عليه في الرباط، وأن القصد كله أن المسلمين الأوائل إنما كان قصدهم بيع النفس لله تعالىٰ وأن الجهاد أسمىٰ ما كان يتمنوه، طلبًا للشهادة في سبيل الله. (٧٠)

الخنادق:

كما ذكر أن أهل طرابلس كانوا حريصين علي حفر الخنادق حول المدينة يوصلونه بالبحر من جانبي البلد، وحرصهم علىٰ حفر الخندق جعلهم يتغلبون حتىٰ علىٰ الرمال التي كانت الريح تحركها في كل اتجاه وكان ذلك عائقًا لهم، وذكر ذلك بقوله"..... علىٰ العكس من موضع رآه في تونس مع وجوده علىٰ جانبين بارتفاع وتشتد عليه الريح فيرون الرمال تبتعد عليه يمينًا وشمالاً..." (٧١)

كما ذكر أن مدينة قابس مسورة من الخارج بسور كبير من بناء الأول، وقد دار بسورها خندق متسع يجرون الماء إليه إذا خافوا من نزول عدو عليهم فيكون أمنع لها. (٧٢)

وكان التجاني إذا رأي عمارة حربية أخرىٰ كالخنادق مثلاً ذكرها، فيذكر مثلاً أن إحدىٰ القرىٰ وهي قرية مجزم كانوا إذا نزل بهم عدو حفروا الخنادق وأودعوا فيها كل "... ما صعب عليهم نقله، وأثقلهم من الأثاث حمله..." (٧٣)

الخاتمة

تبين للباحثة من خلال دراسة موضوع البحث العمران الحربي في إفريقية الحفصية من خلال رحلة التجاني (ت بعد٧١٧هـ /١٣١٧م) عدة نتائج:

١ – أن رحلة التجاني رحلة تميزت عن غيرها من الرحلات بأسلوب التجاني في رصد ما شاهده من أمور تتعلق بالسياسة والاقتصاد والحياة الاجتماعية وغيرها من مظاهر الحضارة، حيث كان أسلوب ومنهج التجاني قد اتسم بالدقة في التناول وهو ما يؤكد كما سبق أن الرحلة مرت علمية تدوينها بمرحلتين الأولىٰ تدوين ما شاهده في حينه، والثانية إضافة ما يتعلق بها من معلومات تاريخية بعد عودته لتونس وأثناء كتابة الرحلة، يدلل علىٰ ذلك دقة ما ورد عن البلدان والمدن من معلومات تارخية تتعلق بتاريخ هذه البلاد عبر العصور.

٢- يتضح من وصف التجاني أن أغلب العمارة الحربية في عصره كانت قديمة قد شيدت قبل عصره، ولكن استخدمها الحفصيون في عصرهم، يدلل علىٰ ذلك أن بعض من هذه العمارة كالقلاع التي وصفها بانه كان قد حل عليها الخراب، أي أن بعضـًا من هذه العمارة نظرًا لمرور وقت طويل علىٰ نشأتها تحولت بمرور الزمن إلىٰ مجرد أثر، ومع ذلك ظلت بنايات كثيرة حربية عامرة زاخرة تمارس دورها الحربي كالأسوار مثلاً التي وصفها بأنه كانت موجودة تحصن المدن في عصره، وشاهدها بنفسه، ومن دقته كان يذكر مدىٰ صلاحيتها من عدمه، وجودة بنائها، وفي بعض الأحيان كان يرصد ارتفاعها، وهل هذا الارتفاع هو ذاته الذي كان عند تشيدها أم لا؟

٣- تميز التجاني في وصفه عن غيره من الرحالة وعن كتب الجغرافيا في كونه كان يصف بدقة متناهية، وكأنه يكتب بابًا لهذا الأثر من العمارة الحربية، فيبدأ بمن أنشأه، ثم حالته، ثم ما تم عليه من تعديل، ثم بعض الأخبار الحربية المتعلقة بها النوع من

العمارة الحربية، وهو بذلك سواء بقصد أو بغير قصد يكتب سجلاً منفصلاً يمكن استخراجه مما كتب عن هذا النوع من العمارة.

٤- كان التجاني حريصًا علىٰ ذكر السبب في اتجاه الحكومات المتعاقبة نحو إنشاء العمارة الحربية، فيذكر السور ويذكر السبب في إنشائه مثلاً، أو الحصون والسبب في إنشائها وعلىٰ سبيل المثال عندما ذكر الحصون التي تم إنشائها في المهدية عاصمة العبيديين، ذكر لماذا أنشات المهدية، ولماذا اتجه أبو عبيد الله المهدىٰ لتحصينها، وذكر الحصن، وتاريخه، وما حل به من تغيير، وبعض الأخبار الحربية المتعلقة به عبر التاريخ منذ إنشائه وحتىٰ عصر التجاني.

٥- من خلال البحث تبين أن العمارة الحربية بشتىٰ ألوانها كانت قد مثلت في البحث، من عمارة خارجية خارج المدن كالحصون والقلاع ثم أسوار المدن والبلدان وأسوار الحصون والقلاع، ثم العمارة الداخلية كالخنادق الداخلية مثلاً والقصبات، والأبراج علىٰ الأسوار بأنواعها، ومن هنا يمكن القول أن كل ألوان العمارة قد تناولها التجاني في رحلته، ومما زادها رونقًا وجمالاً ذكر كل ما يتعلق بها من أخبار.

الهوامش:

(١) التجاني: رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م، ص ٣.

(٢) أيمن السيد عبد اللطيف: الحياة الثقافية في المغرب الأدنىٰ في عهد الدولة الزيرية(٣٦١-٥٤٣هـ/ ٩٧٣-١١٤٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٨م، ص ١٨.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م، ج١١، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٤) أحمد الشتيوي: مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة والأندلسيين وثقافتهم بين القرنين ٦-١٢هـ/ ١٢-١٨م رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة تونس، ١٩٨٨م، ص ٣-٥.

(٥) الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية – تحقيق محمد ماضور، تونس، ط ٢، ١٩٦٦م، ص ٦٣؛محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م،، ج١، ص٢٠٩.

(٦) الزركشي: تاريخ الدولتين، ص ٦٣؛محمد محفوظ: تراجم المؤلفين، ج١، ص٢٠٩.

(٧) السلطان الحفصي أبو عصيدة هو أبو عبد الله محمد ابن السطان أبي زكرياء يحيىٰ الواثق ابن السلطان محمد المستنصر، وسبب تسميته بأبي عصيدة أنه لما خلع السلطان يحي الواثق نفسه عام ٦٧٨هـ / ١٢٧٦م كانت جارية له حامل فيه، ففرت إلىٰ رباط مشهور في تونس يسمىٰ برباط الشيخ المرجانىٰ، وأنجبته هناك، فسماه الشيخ المرجانىٰ عبد الله، وأطعم من فرحته به الناس عصيدة الحنطة فأسماه الناس أبو عصيدة وتلقب بالمنتصر بالله، وعرف بأبي عصيدة، تولىٰ الخلافة الحفصية في ذي الحجة ٦٩٤ هـ/ نوفمبر ١٢٩٥ م، وكانت وفاته في ربيع الثاني ٧٠٩ هـ/ سبتمبر ١٣٠٨ م. انظر: ابن أبىٰ زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٤٠٥؛ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فىٰ تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوىٰ الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٦، ص٦٨٠-٦٩٤؛ ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية فىٰ مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق محمد الطاهر محمد بن

العموري، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤م، ص ١٣٩- ١٤١؛ ابن القنفذ: الفارسية في مبادىء الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨، ص ١٤٥.؛ محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، د ار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م، ج١، ص ٥٦٠-٥٦١؛

J. F. P. Hopkins: The Almohade Hierarchy: Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 16, No. 1 (1954),pp.95-96.

(٨) الزركشي: تاريخ الدولتين، ص ٦٣؛محمد محفوظ: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م،، ج١، ص٢٠٩؛ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م، ص ١٤٠-١٤٢؛

Brahim Jadla: L'ifrīqiyah Hafside Et La Chrétienté: Le Temps Des Ruptures- Oriente Moderno, Nuova Serie, Anno 88, Nr. 2, Les Relations Diplomatiques Entre Le Monde Musulman Et L'occident Latin (Xiie-Xvie Siècle) (2008),Pp. 320-321.

(٩) التجاني: رحلة التجاني،، ص ٣١٧.

(١٠) التجاني: رحلة التجاني، ص ٤-٥، ١٩٤؛ عمر كحالة: معجم المؤلفين،إحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٥٧م، ج٣٦، ص ٣٩؛ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي

(١١) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٦؛ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية،تونس، ١٨٦٩م ص ١٦٣؛ ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية، ص ٨٣؛ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي،١٤٣.

(١٢) تولى أبو يحيى زكريا اللحياني الحكم في أجواء مشحونة ومضطربة، واستمر في الحكم حتى خرج عليه الأمير الحفصي أبو بكر بن الأمير أبي زكرياء بن عبد الواحد، الذي كان قد استقل بقسنطينة، واستمر في ضغطه على الليحاني حتى تنازل لابنه المعروف بأبي ضربة (٧١٧ - ٧١٨ هـ / ١٣١٧-١٣١٨م)، ولم يستمر في الحكم سوى عام واحد فقط، فأمام اضطرابات

الدولة وضغط الأمير أبو بكر بن أبىٰ زكريا اضطر أبو ضربة للفرار أمام أبي بكر،وتمت مبايعة الأمير أبو بكر بن أبىٰ زكرياء بن عبد الواحد سلطانًا للدولة الحفصية فىٰ عام ٧١٨هـ/ ١٣١٨م. انظر: ابن قنفذ: الفارسية في مباديء الدولة الحفصية، ص ١٤٦؛ الزركشىٰ: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، ص ٦٣-٦٥؛ أحمد بن أبىٰ الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان – تحقيق لجنة وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م، جـ١، ص ٢١٢-٢١٦؛

Michael Lower: Tunis in 1270: A Case Study of Interfaith Relations in the Late Thirteenth Century , The International History Review, Vol. 28, No. 3 (Sep., 2006), pp.504-505.

(١٣) ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية، ص ٩١؛ ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، ص ١٤٣.

(١٤) الزركشي: تاريخ الدولتين، ص ٦٣.

(١٥) التجاني: رحلة التجاني، ص ٥.

(١٦) التجاني: رحلة التجاني، ص١٢٨، ٣١٧؛ ابن خلدون العبر، ج٢، ص ١٩٢٢؛ ابن مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق علي الزواوي ومحمد محفوظ: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨، ج١، ص ٥٦٢.

(١٧) أحمد عبد الله محمد إسبيطة: التجاني ومنهجه في كتابة رحلته: خطط أطرابلس نموذجًا، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، السنة الثانية، العدد الرابعة، ٢٠١٥م، ص ١٩٥-١٩٦.

(١٨) أحمد عبد الله محمد إسبيطة: التجاني ومنهجه في كتابة رحلته، ص ١٩٦-١٩٧.

(١٩) التجاني: رحلة التجاني، ص ٥.

(٢٠) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٦.

(٢١) التجاني: رحلة التجاني، ص ٥٧-٥٨.

(٢٢) التجاني: رحلة التجاني، ص ٦.

(٢٣) التجاني: رحلة التجاني، ص ٦.

(٢٤) التجاني: رحلة التجاني، ص٣٠.

(٢٥) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٢٢-١٢٣

(٢٦) التجاني: رحلة التجاني، ص ٣٣.

(٢٧) التجاني: رحلة التجاني، ص ٦٩.

(٢٨) التجاني: رحلة التجاني، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٢٩) التجاني: رحلة التجاني، ص ٥٧.

(٣٠) التجاني: رحلة التجاني، ص ٥٥-٥٦.

(٣١) التجاني: رحلة التجاني، ص ٨٥.

(٣٢) التجاني: رحلة التجاني، ص ٨٥.

(٣٣) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢١١.

(٣٤) التجاني: رحلة التجاني، ص ١١٩.

(٣٥) التجاني: رحلة التجاني، ص٦٧.

(٣٦) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٢٨.

(٣٧) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٨٥-١٨٦.

(٣٨) التجاني: رحلة التجاني، ص -١٨٦؛محمد الهادي غرابي: قلعة نفيق النواة الأولىٰ للتعمير بغمراسن: مقاربة تاريخية أثرية من خلال رحلة التجاني والذاكرة الشعبية والمسح الأثري السطحي، مجلة الحياة الثقافية، العدد ٢١٨، ٢٠١٠، ٩٠-٩١.

(٣٩) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٨٥-١٨٦.

(٤٠) التجاني: رحلة التجاني، ص ١١٥-١١٦.

(٤١) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٥-٢٦.

(٤٢) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٥٨.

(٤٣) التجاني: رحلة التجاني، ص٣٥٥.

(٤٤) التجاني: رحلة التجاني، ص ٦٨.

(٤٥) التجاني: رحلة التجاني، ص ٨٧.

(٤٦) التجاني: رحلة التجاني، ص ٣٢١.

(٤٧) التجاني: رحلة التجاني، ص١٢٧ .

(٤٨) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٣٥

(٤٩) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٣٥

(٥٠) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٦٨، ٢٧٠.

(٥١) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٣٨.

(٥٢) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٤٠.

(٥٣) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٤٦

(٥٤) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٤٠.

(٥٥) التجاني: رحلة التجاني، ص ٦٨

(٥٦) المكان المسمىٰ حاليًا الرقة وبه آثار رومانية كثيرة ولها قيمتها.انظر: التجاني: رحلة التجاني، ص ٦٦ ح ٣.

(٥٧) التجاني: رحلة التجاني، ص ٦٦-٦٧.

(٥٨) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٢٧ .

(٥٩) التجاني: رحلة التجاني، ص٩٥، ١٣٦ .

(٦٠) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٤٢ .

(٦١) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٣٧.

(٦٢) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٣٨

(٦٣) أحمد عبد الله محمد إسبيطة: التجاني ومنهجه في كتابة رحلته، ص ١٩٧-١٩٨ .

(٦٤) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٦٨، ٢٧٠.

(٦٥) برنشفيك: تاريخ إقريقية في العهد الحفصىٰ من القرن ١٣ - ١٥ م- ترجمة حمادي الساحلي،، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص ٣٧٤.

(٦٦) التجاني: رحلة التجاني، ص٦

(٦٧) التجاني: رحلة التجاني، ص٦

(٦٨) التجاني: رحلة التجاني،ص ٣٠.

(٦٩) التجاني: رحلة التجاني،ص ٣٠-٣١.

(٧٠) عادل يحيىٰ عبد المنعم: الملامح العلمية والدينية في إفريقية وإقليمي برقة وطرابلس من خلال رحلة التجاني المتوفىٰ بعد سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م فيما بين القرنين الثالث إلىٰ منتصف الخامس الهجري/ التاسع إلىٰ منتصف الحادىٰ عشر الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، الجزأ الثاني، العدد ٢٧، ٢٠١٩م، ص ٢٤٧-٢٤٨.

(٧١) التجاني: رحلة التجاني، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٧٢) التجاني: رحلة التجاني، ص ٨٧.

(٧٣) التجاني: رحلة التجاني، ص ١٤١.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

التجاني: أبو محمد عد الله بن محمد بن أحمد التجاني(ت بعد ٧١٧هـ / ١٣١٧م)

- رحلة التجاني، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨١م.

ابن خلدون: ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م).

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوىٰ الشأن الأكبر، تحقيق خليل شحاتة، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م

ابن أبي دينار: أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني(١١٠٩هـ/ ١٦٩٨م)

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس – مطبعة الدولة التونسية، تونس، ١٨٦٩م

ابن أبي زرع: أبو الحسن علىٰ بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي (ت بعد عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٤م)

- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس،دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢م

الزركشي: الزركشي: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤى (ت ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م)

- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية – تحقيق محمد ماضور، تونس، ط ٢، ١٩٦٦م،

ابن الشماع: ابن الشماع: أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)

- الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق محمد الطاهر محمد بن العمورى، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤م

ابن أبي الضياف: أحمد بن أبى الضياف (ت ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٤م)

- إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان – تحقيق لجنة وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٩٩م.

ابن قنفذ القسنطينى: أبو العباس أحمد الخطيب (ت ٨١٠ هـ/ ١٤٠٧م)

- الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركى، الدار التونسية، تونس، ١٩٦٨

ابن منظور: أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ/ ١٣١١م)

- لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٤م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

- **أحمد الشتيوي:** مظاهر الحضارة من خلال رحلات المغاربة والأندلسيين وثقافتهم بين القرنين ٦-١٢هـ / ١٢-١٨م رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة تونس، ١٩٨٨م

- **أحمد عبد الله محمد إسبيطة:** التجاني ومنهجه في كتابة رحلته: خطط أطرابلس نموذجًا، المجلة العلمية لكلية التربية، جامعة مصراتة، السنة الثانية، العدد الرابعة، ٢٠١٥م

- **أيمن السيد عبد اللطيف**: الحياة الثقافية في المغرب الأدنىٰ في عهد الدولة الزيرية(٣٦١- ٥٤٣هـ/ ٩٧٣-١١٤٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٨م
- **روبار برنشفيك**: تاريخ إقريقية في العهد الحفصىٰ من القرن ١٣- ١٥ م- ترجمة حمادىٰ الساحلىٰ،، بيروت، ١٩٨٨م
- **عادل يحى عبد المنعم**: الملامح العلمية والدينية في إفريقية وإقليمي برقة وطرابلس من خلال رحلة التجاني المتوفىٰ بعد سنة ٧١٧هـ/ ١٣١٧م فيما بين القرنين الثالث إلىٰ منتصف الخامس الهجري/ التاسع إلىٰ منتصف الحادي عشر الميلادي، مجلة المؤرخ العربي، الجزأ الثانىٰ، العدد ٢٧، ٢٠١٩م
- **عمر كحالة**: معجم المؤلفين،إحياء التراث العربي، دمشق، ١٩٥٧م
- **محمد محفوظ**: تراجم المؤلفين التونسيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م.
- **محمد الهادي غرابي**: قلعة نفيق النواة الأولىٰ للتعمير بغمراسن: مقاربة تاريخية أثرية من خلال رحلة التجاني والذاكرة الشعبية والمسح الأثري السطحي، مجلة الحياة الثقافية، العدد ٢١٨، ٢٠١٠.
- **محمود مقديش**: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، د ار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٨ م
- **ناصر الدين سعيدوني**: من التراث التاريخي والجغرافي، تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩م

ثالثا: المراجع الأجنبية:

Brahim Jadla: L'ifrīqiyah Hafside Et La Chrétienté: Le Temps Des Ruptures- Oriente Moderno, Nuova Serie, Anno 88, Nr. 2, Les Relations Diplomatiques Entre Le Monde Musulman Et L'occident Latin (Xiie-Xvie Siècle) .(٢٠٠٨)

J. F. P. Hopkins: The Almohade Hierarchy: Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 16, No. 1 .(١٩٥٤)

Michael Lower: Tunis in 1270: A Case Study of Interfaith Relations in the Late Thirteenth Century , The International History Review, Vol. 28, No. 3 (Sep., 2006).